أربعة كتب

— ٤ —

بقلم الاستاذ : عبد الحميد الرشيلي

٤ ـ غاية المرام في تأريخ محاسن بغداد دار السلام للخطيب العمري

١ ـ قبل الكلام عن هذا الكتاب واهميته نترجم لصاحبه وقد ذكر هذا المؤلف المحقق الاديب الفاضل انيس سليمان الصائغ في تاريخ الموصل وذكره اخوه في كتاب منهل الاولياء الذي لا يزال خطياً وذكر طابع كتابه : غرائب الأثر في مقدمة الكتاب وذكره الأب شيخو في آداب اللغة العربية في القرن التاسع عشر، ونقول هو ياسين بن خير الله العمري ولم يعرف بالتحقيق سنة وفاته وآخر شيء لدينا من كتابته التاريخية سنة « ١٢٢٥ » هـ ولذلك يظن انه توفي حوالى هذه السنة او بعدها بقليل اما ولادته فكما ضبطها اخوه في سنة ١١٥٧ هـ وكان المؤلف ذا اطلاع على عدة فنون وله خبرة في الطب وهو من عائلة يغلب عليها العلم والادب وكان ابوه خير الله مدرساً درس على يده عدة علماء منهم ولده محمد امين صاحب المنهل والمؤلف تغلب عليه النزعة التاريخية لذلك كان اغلب كتبه في التاريخ وان الف في غيره وله شعر لا باس به كما يظهر من كتابه هذا وغالبه في المدح واليك اسماء كتبه

١ ـ منهج الثقات في تراجم القضاة اهداه لعبد الله بن السيد خليل البصري ومنه نسخة في مدرسة الخياط بالموصل

(٢) الدر المكنون في مآثر الماضية من القرون « ٣ » الروضة الفيحاء في تواريخ النساء « ٤ ـ ٥ « السيف المهند فيمن اسمه احمد اهداه للوزير احمد باشا الجليلي وقرة العينين فيمن اسمه الحسن والحسين اهداه للوزير حسن باشا بن حسين باشا الجليلي ومن هذين الكتابين نسختان في مكتبة عبد الله افندي العمري (٦) الدر المنثر في فضلاء القرن الثاني عشر (٧) عنوان الاعيان في ذكر ملوك الزمان ٨) عيون الادب « ٩ » الخريدة العمرية في الطب (١٠) منية الادباء في تاريخ الموصل للحدباء ومنه نسخة في المتحف البريطاني وله غير ذلك ولم اطلع على شيء من كتبه الا هذا الكتاب الذي خصصنا البحث له وعلى كتاب غرائب الاثر في اعيان القرن الثالث عشر الفه للوزير يحيى بن نعمان الجليلي وقد طبع هذا الكتاب في الموصل قبل مدة قليلة وفي بابه من اهم الكتب . بعد المقدمة ابتدأه بحوادث سنة « ١٢٠٠ » هـ وختمه ببعض حوادث سنة « ١٢٢٦ » هـ ولم يتم هذه السنة وهذا ما يؤيد ان وفاته كانت في هذه السنة والكتاب مجموعة من الحوادث العراقية التي وقعت في هذه المدة ولا يخلو من اغلاط نحوية وعبارات ركيكة مبتذلة وضعف في الاسلوب شأن اهل ذلك العصر واليك نموذجاً من الكتاب قال في حوادث سنة (١٢٢٣) هـ وفيها قدم من الوهابي ركب على الجمال اكثر من الف نفس ونزلوا على مشهد الامام الحسين واحاطوا بالسور فاحس بهم اهل المشهد وقاتلوهم على السور وقتلوا منهم اثنى عشر رجلا وقيل اكثر وهزموهم وبعثوا يخبرون والي بغداد سليمان باشا فبعث العساكر مع كتخدا فيض الله ونادى في بغداد النفير النفير الى قتال عرب الوهابي وتبعوهم حتى هزموهم وابعدوهم عن العراق واراح الله الخلق من اهل النفاق)

والكتاب الثاني الذي اطلعت عليه كتاب غاية المرام

« ٢ » هو من الكتب الثمينة في تأريخ العراق والكتاب وان كان عنوانه خاصاً ببغداد فالمؤلف توسع في تاريخه فاصبح تاريخاً للعراق جميعاً وأرخ به اغلب حوادث المدن العراقية في الشمال وبعض المدن في الجنوب كالبصرة وكربلا والموصل والعمادية والكوفة وبلد والسميكه وزاخو وكركوك واربيل وسامراء وتلعفر وغيرها وذكر جملة من علماء وادباء هذه المدن وولاتها فالكتاب نافع جداً في تاريخ الحوادث العراقية وتسجيل احوال الولاة العثمانيين وما قاموا به من اعمال وهو يماثل كتابه غرائب الاثر في الاغلاط النحوية واستعمال بعض العبارات العامية وفيه

تراجم عزيزة نادرة عن رجال الموصل وبغداد ممن زار وتحول الى هذين البلدين وتأريخ عائلاتهم امثال آل فخر زاده وآل الجلبي وآل العمري وآل الجليلي وغيرهم والكتاب قدمه مؤلفه الى الوزير يحيى بك الجليلي ومدح هذا الوزير في اوله مدحاً مفرطاً واليك شيئاً من مباحثه لتعرف قيمته الادبيه والتأريخية قال في موضوع الحلة بعد ان ذكر تاريخها متسلسلا «وفي سنة (٥٥٨) هـ اجلى الخليفة المستنجد بالله العباسي بني اسد من الحلة وقتل بعضهم واعطى بلادهم الى ابن معروف واندرست معالم آل مزيد وزال ملكهم وذهب عزهم .» وقال في موضوع رجال الحلة وادبائها (احمد الحلي النحوي احد المعاصرين كان شيعياً له ادب وشعر وافر وفضل متكاثر وفي شعره مدح الامام علي توفي سنة «١١٨٧» هـ في طاعون بغداد» وقال في تاريخ «عانة» «وفي سنة «١٢١٦» هـ على غفلة غارت فرقة من عرب الوهابي على «عانة» ونهبوا بعض البيوت وقتلوا رجال عانة نحو اربعين رجلا وعادوا على اعقابهم منهزمين ... ومروا على الكبيسة وهموا بنهبها فحمل فرقة عرب العبيد عليهم وهزموهم .» وقال في ترجمة رجال «تلعفر» الشيخ مراد المجذوب التلعفري صاحب الكشف قدم الى الموصل وفيه جذب رباني فكان اذا حصل الحال ترك الصلاة وطاف بالاسواق .. ثم اذا حصل له السكون رجع الى الصلاة وقراءة القرآن وظهرت له كرامات ومن جملة من شهد كراماته مؤلف هذه الأوراق توفي سنة ١٢٠٢ هـ وفي الكتاب فصل ممتع عن البصرة وكركوك ورجالها بترجمة واسعة وكذلك عن العمادية وتأريخها وبنائها وولاتها وذكر هناك فصلا ممتعاً عن زراعة التتن وكيف انتشر الدخان بين الناس في تلك الاصقاع وقال حدث شرب التتن سنة الف للهجرة وذكر هناك ان بعض فقهاء العمادية حرم التتن والف كتابا في تحريمه اتى فيه بكل لفظ غريب وتطرق لذكر اليزيدية وحوادثهم وتأريخهم مفصلا كذلك ارخ الاكراد وامراءهم في العمادية واطرافها وفي الكتاب فصل مهم عن ملوك العراق بعد انحلال الدولة

العباسية حتى عصر المؤلف ولا سيما عن امراء العثمانيين الذين حكموا العراق والماسي التي عملوها ومما قال هناك «.. وفي سنة الف ومائة وست عشرة ولى بغداد الوزير حسن باشا قدم من الروم وملك هذه التخوم فلما استقر في بغداد سار الى مكان وهو قلعة على جبل مطل على نهر دجلة بين بغداد والموصل حاصر اهلها ونهبهم وقتل معظم رجالها وطلبوا الأمان فامنهم على نسائهم واطفالهم وعاد الى بغداد وفي سنة ثمان عشرة حارب بني لام وسقاهم كأس الحمام وفرق جموعهم حتى صاروا ايدي سبا وسنة ثلاث وعشرين قدم الى الموصل وتوجه الى جبل سنجار واحل باهله الدمار ونهب وسلب وقتل وعصب حتى اذلهم وافتقر غنيهم .» وفي الكتاب فصل مهم عن رجال بغداد المتأخرين ومما قال هناك (محمد الجواد البغدادي كان فرداً بالآداب وكان يتشيع وله شعر فمنه .. الخ توفي بعد الالف والمائة والسبعين السيد حسن العطار البغدادي . احد ادباء عصره شاعراً فريداً في بابه فمن شعره . الخ السيد حسين البغدادي شاعر مجيد فمن قوله ... الخ السيد نصر الله المشهدي البغدادي اوحد عصره ادباً وفيه تشيع ومن نظمه مشطراً ابيات دعبل الخ

ويظهر من نسخة المكتبة العامة انها بخط المؤلف نفسه وفي اخرها يقول «تم الكتاب بعون الملك الوهاب فجر يوم الاربعاء الحادي والعشرين من شعبان سنة الف ومائتين وعشرين على يد مؤلفه وجامعه الفقير ياسين العمري (١٢٢٠) هـ وليست هذه النسخة الوحيدة بل هناك نسخ اخرى منها عند البحاثة الاستاذ يعقوب سركيس ونسختان عند الأب انستاس في خزانة كتبه ونسخة عند الاستاذ العزاوي، وما اتمناه لهذا الكتاب هو ان يتهيأ رجل فاضل فيحذف منه الأبحاث التأريخية الكثيرة التداول في كتب التاريخ القديمة امثال بحوثه عن انهر بغداد والبصرة القديمة وقرى هذين البلدين القديمة وما الى ذلك من الابحاث التي نقلها بنصها من كتب القدامي امثال ابن الاثير وابي الفداء وياقوت وغيرهما وبعد الحذف والتنقيح واضافة مايلزم يطبع هذا الكتاب ليكون مرجعاً مهما في تاريخ العراق المتأخر .